المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

قصور فزان وأهميتها التاريخية

*آمال هاشمي[1]

[1]جامعة أحمد بن بلة –وهران

الملخص

من أهم الأقاليم الصحراوية واحة فزان الغناء المعروفة بمياهها الجوفية؛ ما جعلها جسرا للتواصل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي بين الشمال والصحراء في جنوب إفريقيا، وبفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي أنشأ سكانها مجمعات عمرانية هي في الأصل قصور تعيش فيها عائلات رفقة خدمها.

الكلمات المفتاحية: القصور، الصحراء، الواحة، فزان، ليبيا.

The Fortresses of Fezzan and Their Historical Significance

*Amel Hachemi[1]

[1]*Preparing Professor-A, Ahmed Ben Bella-University, Oran.

A B S T R A C T

Fezzan stands out as a pivotal desert region, famed for its abundant subterranean water resources, which have historically facilitated it as an essential conduit for cultural, social, economic, and political exchanges between North Africa and the southern desert regions. Owing to its strategic geographical positioning, the residents have established sophisticated urban complexes, originally conceived as castles, where families coexist with their household staff in a traditional yet dynamic setting.

Keywords: Fazan, Libya, Palaces,The Desert,The Oasis

المقدمة

يحتل إقليم فزان أهمية كبيرة في تاريخ ليبيا؛ نظرا لموقعه الذي يتوسط الصحراء الكبرى، ومن خلال اطلاعنا على مجموعة من المصادر والمراجع الغربية، وجدنا أنها تناولت دراسة فزان في جميع المجالات وخلال فترات تاريخية متعاقبة، وأكثر ما جلب هؤلاء الباحثين والمستكشفين هي تلك الرسومات والكتابات القديمة وآثار البنايات المهدمة، فكان هذا أحد أسباب اهتمام علماء الآثار بهذه المنطقة التي سكنها الإنسان منذ زمن بعيد، خاصة وأنها كانت مصدر الانتعاش الاقتصادي؛ حيث يلتقي فيها التجار الوافدين من كل مكان، وممرًا لمواكب الحجاج، ومقصدا للصوفيين والعلماء الذين وجدوا فيها مراكز عمرانية هامة، اتخذوها محطة للراحة، والعبادة، والتنسك، وللتجارة أيضا.

1 – التعريف بإقليم فزان وأهميته الجغرافية والاقتصادية:

يحتل إقليم فزان منطقة واسعة من صحراء ليبيا، يحده غربا الجزائر وواحات الكفرة شرقا وطرابلس شمالا والنيجر وتشاد جنوبا. إذن فزان هي بوابة إفريقيا الوسطى(J.Mac Carty ,1819 :p385). ويذكر روني بينو (René Pinon)أن فزان عبارة عن نقطة عبور ومفترق لعدة مسالك وطرق نحو كوار(koar) ووداي (ouadai)جنوبا وشمالا نحو طرابلس والبحر المتوسط وشرقا نحو بنغازي وجالو(djalo) ومصر، وغربا نحو غدامس وعين صالح (René Pinon,1912 :p305).

وتقع فزان جنوب هضبات كلسية جيرية جرداء في منطقة حمادة الحمراء(العرق)، ووصفها غوتي(Gautier) بأنها كالوعاء الواسع يضم عددا كبيرا من الواحات المتناثرة على طول الأودية الجافة منفصلة بعضها عن البعض الآخر(محمد العفيف السوري، المختار عثمان، (2007–2008): ص31) ، يحدها شرقا سهول جرداء يطلق عليها في ليبيا اسم الصغير، وغربا نجد عرق إيديين (Edeyen)وعرق حمادة، أما شمالا فيحدها وادي الشطي، كما أن فزان محاطة من الجنوب إلى الغرب بسلسلة مرتفعات صلبة في كل من صحراء تبستي والطاسيلي(.E.F .Gautier, :pp139–140–141).

* مؤلف البحث: عناوين البريد الإلكتروني hachemi_a@ymail.com – المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل25–26 نوفمبر 2024– جامعة فزان

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

ويسود فزان المناخ الصحراوي بحرارة مرتفعة، وأمطار شبه نادرة، رغم وجود بعض الينابيع التي تلطف الجو,P.Trousset) (. P386 :J.Mac.Carty, 1819 :p22664–1997 أما مجراها فيغطي مساحات واسعة، إذ وجد بها حوالي 360منبع مائي و2700بئر عمقها يتراوح ما بين 1م إلى20م، لذلك نجد بعض الواحات فقيرة جدا (E.F.Gautier, :p139.) يقال عنها بأنها سلسلة واحات صغيرة تربط بواحات كبيرة كالصبحة. أما عند وادي الشطي فيوجد واحات فيها مليون نخلة، تشغل نصف أشجار وبساتين منطقة فزان(Anonyme, 1939 :p15) ، ووفرة المياه الجوفية في المنطقة ساعد على تواجد واحات كثيرة منها:

أولا– واحات وادي الآجال التي تتصل بواحة أوباري وتمتد إلى غاية واحات الصبحة–Anonyme, 1939 : p15) (E.F .Gautier, :p139.

ثانيا– واحة الحفرة (la hofra) التي تصل إلى واحة زويلة.

ثالثا–واحة القطرون الجنوبية التي تعتبر أفقر الواحات مقارنة مع سابقاتها(Ibid, 1939 :p16)، كما يعد نخيل فزان أقدم من نخيل الجزائر وتنبت تلقائيا– حسب تصريح روني بلاير (Renée Bellair,1949 : p6).

2–الفئات السكانية في إقليم فزان:

حسب الرسومات والكتابات القديمة التي عثر عليها في فزان؛ فإن الإنسان سكن المنطقة منذ زمن بعيد بعد أن اهتم ببناء المساكن التي تحولت إلى قرى عمل سكانها على تخزين الحبوب بالمطامر التي استعملها الرومان قديما (J.Mac.Carty, 1819 : p386) ، وبالتالي فإن الفزانيين امتهنوا الفلاحة، ومنهم من اشتغل بتربية الإبل والمواشي(P.Trousset, 1997 :p4)، كما كانوا ينتقلون غربا على طول الحدود وصولا إلى غاية وادي "الآجال أوباري"، حيث استقر البربر هناك، ويمثلون طوارق "الأجر" و"إيفوغاس شملا" و"إمنغستان" في الوسط و"أورهان" جنوبا(Anonyme,1939 :p16) . أما الجهة الغربية للشطي فنجد البربر الذين عربوا، واعتادوا على الرحيل في الشتاء والربيع يرحلون نحو القبلة (بالقبلة يقطن رعاة من الصحراء وهم هبارة وزنتان والمشاشة)–Ibid, 1939 :p16) (P.Trousset,1997 :p4، أما "توبو" فكانوا يفضلون البقاء في منطقة القطرون. (Anonyme, 1939 :p 16)، واستقرار الفزاني بالقرب من الينابيع أهله إلى تشييد تجمعات سكنية حصنها بجدار صلب احتمى بداخله ألا وهو القصر، لذلك ارتأينا أن تكون قصور فزان هي النقطة الأساسية التي سوف نسلط عليها الضوء من خلال هذه الدراسة. إذن فما معنى القصر؟ وفي أية فترة بنيت القصور في إقليم فزان؟ وهل بناء القصور في فزان آنذاك كان لغرض واحد أم تعددت الأهداف؟

3– تعريف القصر:

القصر لغة: هو المنزل، وقيل هو كل بيت من حجر قرشية(بيدي محمد،2016:ص266)، وأن أقدم المنازل في الصحراء هي القصور، وهي عبارة عن قرى محصنة أنشئت ليعيش فيها البدو الرحل، نجدها على طول ممرات ومجريات الوديان، أي بالقرب من الواحات.

كانت القصور تقدم خدمات جليلة للقوافل التجارية فهي مكان للراحة من جهة، ولحفظ البضائع والسلع من جهة أخرى. والقصر غالبا ما يكون محصنا بأسوار عالية ويضم مجموعة من المنازل، تتوسطها ساحة أقيمت فيها دكاكين لبيع ما يحتاج إليه الإنسان، إذ يتوافد إليها السكان والتجار والفلاحون والحرفيون إما للبيع أو الاقتناء، وبذلك شهدت أحياء المنطقة نشاطا تجاريا وحضاريا(Attilio Gaudio,1967 : pp165–166)، كما تنتشر القصور في صحراء الجزائر والمغرب الأقصى، وكثيرا ما نجد في داخل القصور منازل منظمة ومتناسقة وأغلبية ساكنيها من الأشراف والمرابطين.(Ibid,1967 :p166) ومن هنا يمكننا القول بأن القصر في الصحراء هو عبارة عن مجموعة من المنازل المأهولة بالسكان والمبنية على مرتفعات منخفضة محاطة بجدران صلبة تتخللها أبواب متعددة، شيدها الإنسان في عمق الصحراء الكبرى أين تتوفر كل الظروف الطبيعية الملائمة لبناء حضارات راقية عبر الزمن وهذا ما انطبق على واحة فزان وغدامس ومرزق في صحراء ليبيا.

4– المميزات العامة لقصور فزان عبر التاريخ:

إن موقع فزان الحدودي القريب من الجزائر غربا وتونس شمال غرب وطرابلس شمالا، مكنها من أن تكون مفترق طرق تجارية وعلمية هامة(E.B, J.Despois,1998 : p3067)؛ حيث استطاع الفزاني أن يستقر في واحاتها، ويميزها بمباني ذات خصائص طبيعية عمرانية نوردها كالآتي:

4–1– قصور واحة فزان:

عرفت فزان بتنوع سكاني لوجود بقايا آثار لمباني مهدمة وحصون وجدران مربعة لها طوابق ذات سمك صلب.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

أولا: بنيت القصور أمام فقارات ليس بعيدا عن وادي الآجال والشرقية، لكنها أهملت منذ قرون وهدمت، إذ علق الكاتب دسبوا (J. Despois,1946 :p358) قائلا إن عمارة القصور هدمت جراء الحروب الكثيرة أو خلال الفتح الإسلامي، ومن الصعب تحديد زمن وفترة بنائها..

ولقد أشار الكاتب إلى التربة التي بنيت بها تلك المنازل؛ فهي هشة تمتاز برداءتها وعدم صمودها، وهي مكونة من خليط حجارة الدبش والجبس والأتربة(Ibid,1946 :p359)، وقد هجرها سكانها منذ عقود من الزمن، لعدم مقاومتها للظروف الطبيعية أو بسبب حروب أو لانتشار الأمراض المعدية والمجاعات.(J.Despois,1946 : p359)، وبالتالي فإن الحروب[1] كانت أحد الأسباب الرئيسية في تحويل خريطة القرى بفزان، فماضيها عرف تحولات ما دفع السكان إلى جمع سكناتهم في شكل قرى متكتلة محاطة بجدران والتي يطلق عليها بالقصور، التي بلغت نسبتها 3/2من مجموع القرى، أما الباقي منها فهو قرى منفصلة، يتراوح عددها ما بين 101و300 قرية ومدينة(العفيف، السوري المختار، 2008: ص 31).

وتحتوي تلك القصور على منازل تفصل بدروب وممرات ضيقة ومتحجرة تعلوها أبراج للمراقبة، فإذا حل سكان جدد شيدوا بيوتا حديثة متلاصقة مع البيوت القديمة، حتى أنه لا يوجد فتحة تقود إلى الخارج أي أنه تنعدم فيها الفتحات التي تقود إلى الخارج(J.Despois,1946 :p359) .

ومن السكان من فضل الاستقرار داخل آثارات واتخذوا من جدرانها القديمة الصلبة حصنا لمنازلهم، ثم انضموا إليهم آخرون للحماية والمؤانسة والتعاون(J.Despois,1946 :p359) . ومنهم المتدينون الذين وجدوا في المسجد والزاوية مكانا يشعرون فيه بالسكينة والطمأنينة، لذلك راحوا يشيدون منازلهم بجواره، ووضعوا أنفسهم تحت حماية عائلة المرابطين المتدينة المحترمة.

وقد وجد في هذا الإقليم قرى أخذ سكانها تصميما بسيطا، شوارع مستقيمة، بنيت في فترة الهدوء والسلم من طرف أناس هاجروا وغادروا مساكنهم بسبب انتشار الأمراض والأوبئة.(J.Despois, 1946 : p359) إذن؛ فالقرى بفزان جمعت العديد من الأجناس التي تصاهرت فيما بينها، كما لوحظ قرى أخرى حوت أحياء منفصلة، وأخرى حوت منازل مبعثرة، توضح بأن الأمن ليس هو المقياس الحقيقي في عالم السكن.

وبتوفر كل الوسائل المختلفة لتشييد قرية، فإن الأهالي كان هدفهم الأول هو حماية سكناتهم الفردية، والبحث عن الاستقرار في أحياء متباعدة بمسافة تتراوح مابين 50و150م، وهذا ما نجده عند البدو الرحل الذين فضلوا الانفصال عن بعضهم البعض ، لكن وفرة الينابيع المائية تلزم السكان بالعيش بالقرب منها كما هو في منطقة الشطي التابعة للمركز الإداري حيث يتقاسم السكان الماء. (Ibid,1946 :p360)

وننوه إلى أن المصادر التي تناولت قصور فزان كانت قليلة جدا. فقد أشار الكاتب لوتيليوكس(J.Lethielleux)بأنه وجد بفزان قصورا شيدت في الجاهلية، خلال القرن7م قرب بود بايا(Boud Beiya) وأوباري (Oubari) المحاطة بستة أو سبعة مباني أثرية، أما بالوادي الشرقي يوجد قصر جامود (Gamoud)كان في الأصل مسكنا لامرأة بربرية.(J.Lethielleux, 1948 :p5).

كما لا يخفى أن في إقليم فزان كلما تم الاقتراب من مجرى وادي يتم العثور على آثار عمارة قصر قديم، والأمثلة كثيرة، فيلاحظ بوادي كطبة(Catba) مثلا الكثير من القصور المهدمة والمحاطة بمكان يلقب "بأم الحمان" (oumm el haman)منها سبعة قصور مجموعة نحو الغرب، وخمسة أو ستة قصور نحو الشمال والشرق، أما بآقار(agar) فيوجد قصور منهم من لقبها بقصور النسور[2]، وقصور جيحامد (J ih amed) .

أما أهل الشطي فقد فضلوا الاستقرار بأعلى هضبة صغيرة، واختار آخرون السكن خارج قصور، إذ يرون بأن الحماية يتحصلون عليها بمختلف الطرق (Ibid,1946 :p359)، ونعطي مثالا عن الأمير شريف محمد الذي بنى فوق ربوة المسجد القديم لمرزق قصبة صلبة قادرة على مواجهة أي غزو أو هجوم، وسريعا ما استطاع أولاد محمد أ ن يشكلوا قوة محكمة بمساعدة ملوك كانم وبورنو خلال القرن17م(J.Lethielleux, 1948 :pp18-19)[4]

ومابين (1577-1578م) بنى أحد أبناء أولاد محمد على بعد 3كلم غرب قرية الجديد قصر الأحمر لحماية طريق الشمال، وهو طريق روماني قديم (J .Lethielleux, 1948:pp18-19)، ومن بين قصور الجاهلية التي وجدت آثارها بواد الآجال(ouadi el ajal)، والذي اختار مشيدوه مرتفع هضبة صغيرة منخفضة يحتوي طابقه السفلي مابين ثلاث غرف إلى أربعة، بلغ عرض جدرانها خمسة أمتار، ويقال بأن الأرضية التي شيد عليها القصر غاصت وتلاشت بفعل تساقط الأمطار(Ibid, 1948 :p19) .

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

وليس بعيدا عن قصر وادي الآجال وخلال نهاية القرن17م وبداية القرن18 هاجر شخص يلقب سيدي عبد الله، الذي اتخذ قطعة أرض أثناء –هزيمة أولاد محمد بمنطقة مرزق بالقرب من البرج الرئيسي دوجون(dojon)– ليشيد عليها منازل لمقاتليه؛ وهذا لعدم تمكن أحفاد عبد الله الاستقرار بطرابلس، ويذكر أن هذا الأخير هو الذي اغتال آخر سلاطين مرزق سنة1811م، وسيطر على كل إقليم فزان(J.Lethielleux, 1948 :pp48–49).

ودائما وبنفس منطقة وادي الآجال غربا عند الحدود الشمالية للواحات قرب الغرفة (elghorfa)، وجد قصر مربع الشكل عرضه وطوله 50م، جداره صلب وسمكه يتراوح مابين 60سم، بني بداية القرن 19م، وهذا لإسكان وحماية السكان من سرقات البدو وغزوهم خلال هذه الفترة التي شهدت الاضطراب والفوضى[3].

ومما يلاحظ أن وادي الآجال عرف تشييد العديد من القصور حتى من طرف التجار ومن ذلك هذا النموذج الحي نهاية القرن 19م، حيث قام أحد العثمانيين الأغنياء –وبعيدا عن كل التجمعات السكانية الأخرى– بتشييد جدران مرتفعة وجميلة، حيث اتخذ العديد من الحراس وهذا لحماية عائلته وممتلكاته من كل أذى يصيبهم. (Ibid, 1948 :pp48– 49).

4–2– القصور بواحة غدامس:

اعتاد سكان فزان والواحات بصفة عامة أن يجتمعوا في الأماكن الغنية بالماء فهو العنصر الأساسي في الحياة، لقوله تعالى:" وجعلنا من الماء كل شيء حي"(سورة الأنبياء: رقم29) وما شهدناه من عمارة القصور بفزان شهدته كذلك واحة غدامس، والتي اهتم سكانها بحفر آبار عديدة، مع العلم أنهم كانوا ينقسمون إلى ثلاثة قبائل متناحرة من البربر وهم بني وازيتان (waziten)وبني أولد (beni uled)وأولاد بليل، فتقسيمهم هذا ونظامهم فرض عليهم المحافظة على قصورهم وقلاعهم وحصونهم والتي كانت أبوابها تغلق ليلا، وهذه القبائل كانت تتوزع إلى أربع فئات سكانية وهي كالآتي:

4–2–1 –الفئات السكانية المتواجدة بغدامس:

1– الحضر: وهم النبلاء ويلقبون بدرافن(draven)

2– الرجال الأحرار وهم أصحاب البشرة البيضاء.

3– الهوارن(les howran): وهم الزبائن ويصنفون من ضمن العائلات النبيلة.

4–العطارة(Attara): كانوا عبيدا في الأصل ثم حرروا.

وأخيرا فئة العبيد الملقبة ب أدجنوة (Adjenaou) ويطلق عليها بالوصيف باللغة العربية، وكلهم سود منهم من وفد من كانم وآخرون من النيجر.(J.Lanfry, 1998 :p03)

5–أشكال قصور غدامس:

استقرار هذه الفئات السكانية بالقرب من الينابيع والآبار الملقبة دو يوسف(de yessof)مجتمعة مع زبائنهم وخدمهم في شكل تجمعات منفصلة عن بعضها البعض محصنين بجدار، الغاية من تلك الحماية هو الاستمرارية في الحياة؛ حيث بنيت هذه المباني بشكل مدرج وبنظام الأزقة الضيقة.

5–1–القصور عند قبيلة آيت وازتان (Ait Waziten):

كان لديهم أربعة قصور وهي: القصر الأول يقع شمال شرق مرزق وبقي منفصلا عن بقية السكان الحضر عن طريق البساتين: وهو الأمنف (amnef)، وهذا الأخير كان يجمع أربعين رجلا عسكريا.(Ibid,1998 :pp3–4)

– القصر الثاني:هو ن–نونو (N.nunu)، اختفى هذا القصر بعد التطور العمراني وحافظ الشارع على اسمه.

أما القصر الثالث فهو أقار (aggar) بقي منه باب الدخول إلى الحي والمحاط بجدران، وهو من أوائل البيوت التي بنيت منذ القدم. وكل أثر معماري لم يبق منه إلا بعض الجدران، أو مفترق للطرق الذي يؤدي إلي تنازين (tennazin) (Ibid,1998 :p15)، ومن العادات التي تطبع سكان القصور المنعزلة قديما هي تلك المرأة التي تهتف من أعلى شرفات القصر بأصوات "هو هو" ، لتنذر من خلالها الرجال بقدوم أو اقتراب قافلة نحوهم من الغرباء الذين اعتادوا على زيارتهم فيصرخون: بأيت تونس هؤلاء "هم التونسيون". (Ibid, 1998 :pp4–5)

كما نجد منطقتين محصنتين خارج الواحة صممت كقصور، وربما كانت مراكز سكنية دائمة مستقرة، وهذا ما يفسر فكرة الحصانة والحماية والدفاع(Amadoul)، لكنها اليوم هي عبارة عن آثار مهدمة لحصن يعود بنائه إلى العهد الروماني حسب تصريح لونفراي(Lanfry).

كما يتحدث الغدامسيون عن القصر الذي كان عبارة عن مركز ومجمع سكني خلال فترة قديمة، ثم أصبح أهله يعيشون في وسط المدينة وهم "أيت أولد"(Ait Ulid).

– قصر (Amadgul) أمدقول يقع خارج المجمع، يتركز ساكنوه بالقرب من الواحة والمنبع المائي، وعلى بعد مئات الأمتار غرب الجدران المهدمة، فهو موقع استراتيجي ممتاز.

– آيت درار (Ait Darar) وفد أهله من الجهة الشمالية أو الشرقية، واستقروا في هذا المكان المحصن قبل نزولهم وانتقالهم إلى الواحات بالقرب من مصدر مياه، حيث يتواجدون إلى غاية اليوم.

– قصر تكيوت في مصادر أخرى" تيكوت، توكيت" (toukout, TUGUTT,TEGUT TUKUT,TUKIT)(Tekut)ارتبط هذا الاسم بغدامس منذ القدم: وهو عبارة عن قصر محصن شيد في أعلى هضبة على مسافة ساعة مشي من الواحة في اتجاه العرق الكبير الغربي، كان سكانه يستقون من بئر حفر في القمة، وهذا القصر هدم حسب رأي الكاتب؛إذ إن وجهة سكانه بقيت مجهولة. (J.Lanfry :1998, p5)

وخلال نهاية القرن 16م وتأكيدا القرن 17م كان للحي نظام وتطور حضاري وروابط اجتماعية مترابطة ومتماسكة بين الأحياء؛ أي فيه تواصل واستمرارية إلى يومنا هذا. كما يصرح الكاتب ويقول بأن هذه المعلومات هي مختصرة، وبدون مراجع التي توضح أكثر وتحدد القصور في زمانهم الماضي حسب مقولة ابن خلدون أن ": ..غدامس مكان أو محطة في الصحراء بنيت في فترة وفي عهد الإسلام، تغلق وتحصن عدة قصور وقلاع.." .

من خلال البحوث والتنقيبات التي قام بها العلماء، فقد لوحظ بأن غدامس شهدت ظروف صعبة واضطرابات كثيرة، فالواحة كانت تتعرض لضربات التونسيين وغيرهم، لذلك استطاع أهلها بمهارتهم حماية استقلالهم، ومنافسة تونس وطرابلس والطوارق.

وخلال سنة 1860م احتل الأتراك غدامس، ورغم أن العثمانيين شيدوا ثكنة عسكرية، فإن المدينة كانت تسير بطريقة ذاتية تحت وساطة الجماعة المتكونة من شيوخ العائلات النبيلة.

ومن خلال ما تحصلنا عليه من معلومات وجدنا بأن مناطق فزان وغدامس ومرزق واحات كانت تحت سلطة الإقليم الجنوبي الجزائري –الاستعمار الفرنسي–(J.Lanfry :1998, p5)

الخاتمة:

إن مفهوم القصر–حسب ما يعلمه الجميع– هو مقر سكن الملوك والوزراء، ولكن ثبت أنه في صحراء دول المغرب العربي كان يضم مجموعة من المنازل لفئات سكانية مختلفة الأجناس، والهدف من تلك التجمعات هو الحماية والتعايش والتعاون، وهذا ما انطبق على واحة فزان، والتي عرفت عمارة القصور منذ زمن بعيد، نظرا لأهمية موقعها الاستراتيجي الهام ناهيك عن الحضارات العريقة التي تعاقبت عليها، وما تعدد القصور هناك إلا دليل على نمط معيشي لأجناس مختلفة سكنت واستقرت بالمنطقة، وبذلك تكون قد قامت بدور هام في التواصل الحضاري بين الشمال ووسط الصحراء. بالإضافة إلى أن قصور فزان كانت عبارة عن مراكز عبور القوافل التجارية والدفاعية المحصنة أثناء الحروب.

الإحالات:

1– خلال القرن 11م شهدت فزان حروبا والتي كان سببها الهجرات النازحة من المشرق، حيث تمثلت في قبائل بني هلال وبني سليم توجهت القوافل لذلك الطريق الآمن.

– نهاية القرن 12م عاش إقليم فزان فوضى واضطراب سببه ظهور مملوك مصري وهو شرف الدين قراقوش الأرمني على مسرح أحداث شمال إفريقيا قادما من مصر، وكان أحد ضباط يعمل في جيش صلاح الدين الأيوبي، وعندما تخلى تقي الدين أخي صلاح الدين عن فكرة القيام بحملة على إفرقيا والمغرب قام قراقوش بتنفيذ هذه المحاولة وجمع أمره على ذلك سنة 1172م، ولما اجتاز السلوم اتخذ الطريق الصحراوي للتوجه غربا فسار إلى سيوة شنترية فافتتحها وفي طريقه استولى على زلة وأوجلة وزويلة من بلاد فزان في دولة بني خطاب الهواريين 596هـ/1173م، وكانت قاعدة ملكهم الزويلة وقتل آخر ملوكها محمد بن خطاب، وصار معظم بلاد فزان تحت سيادة قراقوش .(العفيف السوري، المختار محمد عثمان، 2008:ص44،43)

– 2– النسور: بعد مقتل قراقوش تقريبا بعد سنة1212م، عمت الفوضى في إقليم فزان فظهر أحد ملوك كانم المسلم دونما ديبلام(1221–1259م)، الذي لاحظ أن مصلحة بلاده التجارية عبر الصحراء قد تضررت لذلك سارع في سنة 1258م بإرسال من قتل ابن قراقوش، إذ عاد السلم إلى فزان، وعلى إثر الفراغ السياسي الذي ساد في البلاد، قام ملك كانم بضم فزان إلى إمبراطوريته، واستولى دونما على حكم فزان وعين أحد يدعى ماي من أسرة بني نسور، حيث اتسم حكمه بطابع إقطاعي وراثي. لقد ترك الحكم السوداني في إقليم فزان آثارا عديدة تمثلت في القصور

والبساتين والآبار، حيث شجعوا الزراعة عن طريق حفر القنوات لتوفير المياه اللازمة للزراعة.(العفيف السوري، المختار محمد عثمان،2008:ص44)

– 3– وفي أواخر القرن15م وبداية القرن 16م وقعت فزان من جديد فريسة الفوضى، قام بها البدو الرحل من الطوارق في الجنوب والعرب في الشمال وتدهورت بذلك تجارة القوافل العابرة للصحراء، لكن جماعة خرمان سكان وادي الآجال تمكنوا من الاستيلاء على السلطة وإعادة العاصمة إلى زويلة حيث امتد نفوذهم وقاموا بضم غات الواقعة في الجنوب الغربي من إقليم فزان لكنهم اصطدموا بقوة الطوارق،... ولم يكن الحظ محالفا لتلك الأسرة لأن المنطقة دخلت في صراعات محلية بين السادة الإقطاعيين الصغار وكانت هناك حالة تذمر بين السكان المحليين الذين كانوا يدفعون الضرائب للبدو إضافة إلى توتر العلاقات بين السكان أنفسهم نتيجة الأحقاد الكامنة بين ذلك المزيج المركب من العناصر السكانية المختلفة الأعرق من نسور سوداني تراغن والخرمان والجهمة والطوارق والتوبو والعرب... وعلى إثر تلك الأوضاع السائدة أصبحت فزان في حالة تدهور حيث توقف السكان عن زرع بساتينهم إلا ما يسد رمقهم من الجوع، ولحماية أنفسهم شيدوا قصورا وسط مراكزهم العمرانية أو السكنية، وطلبا للحماية والأمن أيضا أحاطوا قراهم أو بلدانهم بالأسوار المنيعة وعاشوا فيها في شكل تجمعات سكنية قريبة من بعضها البعض.(العفيف السوري، المختار محمد عثمان، 2008: ص ص45،46).

4– خلال القرن 16م ساءت أحوال إقليم فزان مما مهد السبيل أمام السلطان الفاسي وهو من أشراف المغرب ليتولى أمورها، وتم له ذلك عندما كان مارا بفزان في طريق عودته من الحج وبناءا على رغبة الأهالي في المحافظة على أمن واستقرار بلادهم، وكان من أبرز أعماله تأسيس مرزق والتي لم يكن فيها إلا بعض الزرائب، وأنه بنى قلعة حصينة على الأرض المحيطة بالمسجد العتيق حيث أصبحت عاصمة له، حيث أحاطها بسور وأخذ يمد سلطانه على جرمة وقلص من نفوذ البدو والرحل الإقطاعيين، وبسرعة كبيرة أصبح أولاد محمد الفاسي قوة تساندها ملوك السود من كانم – بورنو وقام أيضا بضم معظم أرجاء فزان تحت لوائه وانتخب عليها رئيسا من قبل الفزانيين سنة 1550م، وخلفه فيما بعد ابنه الناصر حوالي 1567م والذي عمل على توسيع أملاكه، حيث ازدهرت فزان في عهد الناصر فانتشر الأمن وعم الرخاء الاقتصادي. (العفيف السوري، المختار محمد عثمان:2008، ص ص46–47)

قائمة المصادر والمراجع:

1– العفيف السوري، المختار عثمان محمد، (2007–2008)، الأوضاع الاقتصادية في إقليم فزان خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (دراسة تاريخية)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر تحت إشراف، د: إبراهيم مياسي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر.

2– بيدي، محمد، جوان 2016، الخصائص العامة لقصور الجنوب الغربي الجزائري: قصور عين الصفراء أنموذجا، مجلة الدراسات، إصدار جامعة بشار، ص ص 263–277.

الكتب باللغة الفرنسية:

3- Anonyme,01 /12 /1939, Théatre d’opération de l’Afrique du nord-bueaux politique notice de la Libye .

4- Attilio Gaudio, 1967, Les civilisations du Sahara dix millénaires de culture et de grand commerce, Marabout université, Belgique .

5- E.F.Gautier, l’Afrique blanche, géographie pour tous, librairie Arthéme Fayard, Paris.

6- J.Lethielleux, 1948, Le Fezzan ses jardins, ses palmiers, imprimerie Bascone et Muscat, Tunis.

7- M.Mac Carty, 1819, Voyage à Tripoli ou relation d’ un séjour de dix année en Afrique de 1789 à 1793, librairie, chez P.Mongie Ainé, Paris.

8- René Pinon, 1912, L’Empire de la Méditerranée, librairie éditeurs, Perrin et c^{ie}, Paris.

المجلات والدوريات باللغة الفرنسية:

9- E.B, J .Despois, J.Lanfry et K.-G.Prasse, (01 /10/1998), Ghadamés, Encyclopédie berbére, N20, éditeur, Peeters Publishers, pp 3067-3084 .(1-18)

10- J.Despois,1946, Algérie et Sahara, Tome second, Encyclopédie de l’empire Français, Paris, pp355-364.

11- P.Trousset, J.Despois, Y. Gauthier, Ch.Gautier et E.B,(01/08/1997), Encyclopédie berbére, N18, éditeur Peeters Publishers, pp 2777-2817.
12- Renée Bellair-Baudier, 1949, Le Fezzan, L'information géographique,Volume 13, N1, pp 5-10.